عقائد النصارى في الخطاب القرآني عند الفخر الرازي

إعداد:

الدكتور سيكو مارافا توري

الأستاذ المشارك في قسم أصول الدين والدعوة بكلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية – ماليزيا

الأستاذ مختار بيلم

حامل ماجستير في الدراسات القرآنية بكليلة معارف الوحي بالجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا، وإمام في الولايات المتحدة الأمريكية

ملخص البحث

لا غنى لعلماء المسلمين في دراساتهم إلاّ الرجوع إلى القرآن الكريم مهما تباينت واختلفت مشاربهم وتخصصاتهم، وما ذاك إلا أن القرآن الكريم المصدر الأول للمسلمين. ومن هنا، فإن المفسر والمحدث والمتخصص في العقيدة والكلام وغيرها يجدون القرآن المجمع الذي يأويهم جميعا. يضاف إلى هذا أن كتابات علماء المسلمين في الأديان تأثرت بحقيقة ما ورد في القرآن، تصريحا أو تلويحا. تكمن إشكالية هذا البحث في أنه يتولد من هذه الحقيقة ما يذهب إليه أصحاب هذه الديانات من عدم موضوعية علماء المسلمين في فهمهم لديانتهم، وأنهم يعتمدون على تفسيرات وحقائق غير مسلمة بها لدى أتباع الأديان أنفسهم. وعليه، فيسعى هذا البحث إلى الجمع بين علمين في التاريخ الإسلامي: التفسير أو علم الدراسات القرآنية وعلم مقارنة الأديان، وذلك بدراسة لب العقيدة النصرانية: عقيدة التثليث، كما ورد في القرآن الكريم، وما يتبعها من عقائد ذات صلة بها، مثل ألوهية مريم، وعقيدة الفداء، وعقيدة الخلاص. وبما أن هذه العقائد تذكر في آية أو آيتين في سيايقات معينة كان لا بد من الاستعانة بعَلَم من علماء المسلمين الذين عرفوا في التفسير وكذا في علم الكلام أو علم الأديان، فاختار الباحثان فخر الدين الرازي. وسيسلك البحث المنهج الاستقرائي في تتبع آي الذكر الحكيم، والمنهج التحليلي في التعامل مع هذه الآيات ودراستها. ومن أهم نتائج البحث أن القرآن الكريم حكى جملة من عقائد النصارى، أتى بعضها عاما والبعض الآخر خاصا. وكان لا بد من بيان حقيقة المراد من هذه الآيات وتنزيل كل في نطاقها الصحيح وفق الحقائق التاريخية ووفق ما يؤمن أتباع الديانة أنفسهم، ومراعاة عنصر الموضوعية في ذلك. وذلك لئلا يُقوّل القرآن ما لم يقل، ولا يقوّل النصارى ما لا يعتقدون.

الكلمات المفتاحية: عقائد النصارى، النصرانية، التثليث، الفداء والخلاص، ألوهية مريم، الموضوعية، التفسير الموضوعي، الخطاب القرآني، الرازي.

Abstract

Qur'an is to be perceived as the main source for Muslim intellectuals. Different Islamic scholars in different fields of Islamic studies must refer to it for proper interpretation and understanding of Islam. Moreover, Qur'an has provided significant account of the other religions; such historical realities, religious figures and belief system. There is a fact of doubting numerous realities by non-Muslim, researchers or orientalists towards certain qur'anic stands concerning their belief systems. This paper aims at studying notion of Trinity in the Qur'anic discourse, and its related issues; such as divinity of Mary, salvation and redemption. The study has to be done with special reference to the works of Fakhridden al-Razi. The researcher has to follow inductive and analytical approaches. Among the findings of the research is that Qur'an has mentioned several belief system and historical facts of Christianity, some of it is general for some reasons, others are confined to some religious sects. Objectivity demands proper understanding and interpretation.

Key words: Christian faith, Christianity, doctrine of trinity, redemption, salvation, divinity of Mary, objectivity, topic-based Qur'anic commentary, Qur'anic discourse and al-Razi.

المقدمات المنهجية:

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة، اللهم رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا من لدنك علما؛ وبعد:

ففي ظل النداء إلى التكامل المعرفي وإلى التخصصات البينية، وظل الاهتمام بالأديان والأخلاق، والنداء إلى ضرورة الإنصاف والموضوعية في الأديان والنظر في المتفق عليه؛ فإن هذه الدراسة تأتي لمحاولة الجمع بين التفسير وبين علم الأديان، وذلك انطلاقًا من حقيقة تطرق القرآن الكريم إلى جملة من عقائد النصارى، وانطلاقًا من توسيع المفسرين في محاولة بيان مراد الله لما ذكر في القرآن.

يذكر علماء الأديان أن الدين يقوم على جملة عناصر مهمة، هي مهمة لفهم الدين، هذه العناصر هي العقيدة الدينية، الطقوس والشعائر، المؤسس، الكتاب المقدس وتاريخ الديانة، ولعل العقيدة الدينة تعتبر قوام الدين ولبه، ومن ثم تأتي العناصر الأخرى للتكميل.

تعدّ عقيدة التثليث، وعقيدة ألوهية مريم، وما ترتب على ذلك من عقيدة التثليث من الخطيئة، وكفران الذنوب والفداء والخلاص من أهم دعائم الديانة النصرانية، وقد تطرق القرآن الكريم إلى هذه العقيدة بالذكر مع بيان موقفه منها.

يضاف إلى هذا أن ثمة طائفتين حيال هذه الحقيقة:

الطائفة الأولى: تمثلها ثلة من منتمي المدرسة الإستشراقية، وذلك بالطعن في بعض أو الكثير مما ورد في القرآن الكريم من حقائق حول الديانة النصرانية من جهة، أو رميها بعدم الموضوعية من جهة أخرى.

الطائفة الثانية: وتمثلها جملة من المسلمين الذين يعمموا بعض ما جاء في القرآن الكريم دون اعتبار حقيقة الديانة النصرانية القائمة، ودون الفهم الشمولي لما ورد في القرآن الكريم، وبغض النظر عن التطور التاريخي للديانة، وهذه أمور فهمها وإدراكها مهمة في الحصول على الصورة الكامة لحقيقة ما ذكره القرآن الكريم.

ستكون هذه الدراسة بمثابة جمع الآيات التي بينت هذه العقائد، وبيان كيف شرحها المفسرون: الإمام فخر الدين الرازي خاصة، وما موقف الديانة النصرانية منها، وذلك لبيان موقف القرآن من هذه العقيدة بكل موضوعية وإنصاف.

إشكالية البحث:

تكمن إشكالية البحث في طبيعة التباين والاختلاف بين الديانات، وتحدي التجرد والإنصاف والموضوعية، والابتعاد عن الحكم في ظل عقيدة دينية قائمة يدين بها باحث ما، وهي راسخة لديه، وقد حكم عليها بالصحة والبطلان من قبل أن يقوم بالبحث والدراسة حتى، ولعل هذا الحكم جزء من مطلب ديني، فهل يمكن لباحث ما دراسة دين مغاير عن معتقده دراسة موضوعية بعيدًا عن التحامل وإطلاق الأحكام والأوصاف؟ وعليه، فما طبيعة ما أورده القرآن الكريم عن عقائد النصارى، وما واقع الديانة النصرانية القائمة من ذلك، وكيف تعامل المفسررن مع ذلك؟

حدود البحث:

يجدر بالذكر أن البحث سيكون في الإطار الآتي:

١- العقائد النصرانية، فخرجت الشريعة والعبادات والطقوس، وحياة المسيح.

٢- القرآن الكريم: بتتبعه واستخراج المصطلحات.

٣- كتابات الإمام الرازي في تجلية المقصود من هذه المصطلحات، نظرًا لكونه مفسرًا وعالم كلام، له مؤلفات في الحقلين.

أسئلة البحث:

تتمثل أسئلة البحث في الآتي:

١- ما المقصود بألوهية مريم في القرآن الكريم؟

٢- ما طبيعة عقيدة التثليث في القرآن الكريم؟

٣- ما دلالة عقيدة الصلب في القرآن الكريم؟

٤- ما موقف القرآن من عقيدة الفداء والخطيئة الأصلية؟

أهداف البحث:

يكمن أهداف البحث في الآتي:

١- بيان المقصود بألوهية مريم في القرآن الكريم.

٢- الكشف عن طبيعة عقيدة التثليث في القرآن الكريم.

٣- إبراز دلالة عقيدة الصلب في القرآن الكريم.

٤- إظهار موقف القرآن من عقيدة الفداء والخطيئة الأصلية.

منهج البحث:

نظرًا بأن البحث يدور حول عقائد النصارى في الخطاب القرآني، كان لابد من سلوك **المنهج الاستقرائي** في تتبع جزئيات الموضوع من القرآن الكريم أولًا، ويتطلب البحث التعرض **للمنهج التحليلي**، في حسن تنزيل هذه الآيات على مظانها، علاوة على أنه لا غنى للبحث من المنهج الوصفي؛ وذلك في بيان قضايا البحث.

إجراءات البحث:

سيتبع الباحث لإنجاز البحث ما يأتي:

١- جمع الآيات المتعلقة بعقيدة النصارى وتبعاتها.

٢- الرجوع إلى كتب التفاسير في بيان ذلك (تفسير مفاتيح الغيب أنموذجًا).

٣- الرجوع إلى كتب النصارى ودراساتهم فيا يتعلق بهذه المسائل الواردة في القرآن.

٤- دراسة أثر ذلك على فهم علماء المسلمين للديانة النصرانية.

٥- تحليل الفكر الكلي المترتب على ما ذلك، ومكانة الموضوعية في ذلك.

الدراسات السابقة:

أما عن الدراسات السابقة، فلعله يمكننا أن نعد هذه الورقة مساهمة وجديدة من نوعها، وذلك أن الدراسات السابقة لهذا الموضوع لم يعالج ما البحث بصدده، وإنما انصب معظمها على قضايا أخرى، من هذه الدراسات السابقة رسالة بحث بعنوان: **النصرانية في القرآن الكريم**، لمؤلفه محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود. وكتاب Jesus in the Qur'an

(**عيسى في القرآن**) لمؤلفهGeoffrey Parrinder (جيوفري بارىندر)، وهو باللغة الإنكليزية. وكتاب:The Moslem Christ (**المسيح المسلم**)، كتاب قديم، فقد أُلف في ١٩١٢، وباللغة الإنكليزية، ألفه المستشرق Samuel Zwemer (صموئيل زويمر)، وكتاب النصرانية بين نبأ القرآن المجيد وخبر العهد الجديد تاريخًا وعقيدة، لمؤلفه جمال سعد محمود، وكتاب Jesus a prophet of Islam, (**عيسى نبي الإسلام**)، لمؤلف محمد عطاء الرحيم. ومن الدراسات السابقة **النصرانية في الخطاب القرآني**،[١] و**صفات النصارى في الخطاب القرآني**،[٢] و**عقيدة ألوهية عيسى**،[٣] ومنها: **منهج الخطاب القرآني في الحديث عن النصرانية وآثاره**.[٤] فهذه الكتب والمقالات –وإن كانت تتناول النصرانية وتتكلم عن عيسى –عليه السلام– كما جاء في القرآن– إلا أنها عنيت بقضايا العقيدة بيانًا وردًّا، ولم تهتم بقضايا أخرى لها صلة بالنصرانية وتحدث عنها القرآن، ومن هذه القضايا تتبع مفهوم الاسم الموضوع للديانة وإفرادها بالدراسة وكذا جمع المصطلحات ذات الصلة به في القرآن، وهذا ما سيركز عليه هذا البحث.

محتوى البحث:

سيشتمل البحث على المباحث الآتية:

١– بيان المقصود بعقيدة ألوهية مريم في القرآن الكريم.

٢– الكشف عن طبيعة عقيدة التثليث في القرآن الكريم.

٣– إبراز دلالة عقيدة الصلب في القرآن الكريم.

٤– إظهار موقف القرآن من عقيدة الفداء والخطيئة الأصلية.

(١) للتوسع انظر: سيكو مارافا توري، **النصرانية في الخطاب القرآني**، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم أصول الدين ومقارنة الأديان بكلية معارف الوحي والتراث بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ٢٠٠٧.

(٢) للتوسع انظر: توري، والعرفي، **صفات النصارى في الخطاب القرآني: دراسة موضوعية تحليلية**، مجلة جامعة المدينة العالمية بماليزيا (مجمع)، العدد ٩، ٢٠١٤.

(٣) للتوسع انظر: توري، **عقيدة أهل الكتاب "النصارى" في ألوهية عيسى في الخطاب القرآني**، مجلة بحوث إسلامية واجتماعية متقدمة، العدد الأول، أكتوبر ٢٠١١.

(٤) للتوسع انظر: رحمة، وتوري، **منهج الخطاب القرآني في الحديث عن النصرانية وآثاره**، مجلة إسلامية المعرفة، العدد الخاص ٤ ديسمبر ٢٠١١.

المبحث الأول: عقيدة ألوهية مريم:

أخبر القرآن الكريم تلويحًا أن من النصارى من يؤمن بأن مريم أم المسيح إله بجانب كون الله إلهًا، ولعل الحديث في هذا عند كثير من المفسرين جزء من الحديث عما سيأتي – عقيدة التثليث–، لكن الأمر في الحقيقة مختلف.

الآية التي تدل على عقيدة ألوهية المسيح هي: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦] ، مما يدل على أن ناسًا يقولون: بأن مريم إله، وهذا هو المقصود بعقيدة ألوهية مريم، يقول الرازي: " أن قومًا من النصارى حكوا هذا الكلام عنه".[1] ويؤكد معنى كلامه هذا من اعتقاد طائفة من النصارى بألوهية مريم في أكثر من مكان في تفسيره، فقد قال أيضًا: "القرآن يدل على أن النصارى يقولون: إن الله والمسيح **ومريم** ثلاثة آلهة، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾."[2]

لكن يا ترى: من هم هؤلاء القوم؟ وأي فرق من فرق النصارى هم؟ لم يجد الباحث من كلام الرازي ما يعين الفرقة التي حكيت تلك الحكاية، إلا أن الباحث استنبط وفهم من مجمل كلامه أنه يقرّ بأن هذا الكلام حكاية عن طائفة من النصارى، لكن قد بدا للإمام أن الطائفة التي قالت بألوهية مريم تقول هذا إضافة إلى ألوهية الله، وليس من دون الله، ولعل الإمام بهذا قد جانب الصواب، **يعني: يرى الإمام أن هناك طائفة نصرانية تقول بأن مريم إله لكن ليست إلها من دون الله بل هي إله مع عيسى والله**، والإمام بهذا يشرحها من نطاق التثليث، **والواقع خلاف ذلك**، لغياب علم الإمام عن هذه الطائفة، ولعل هذا هو سبب عدم ذكرها، بخلاف عادته، فقد نسب قول النصارى بأن الله هو المسيح نفسه إلى الفرقة التي قالت هذا الكلام "اليعقوبية"، وهنا لم يفعل؛ لذلك في شرح آية المائدة التي نحن بصددها توجه الإمام إلى أسلوب آخر، فقد ذكر هناك بأن الإله هو الخالق والنصارى

(١) الرازي، محمد فخر الدين، **مفاتيح الغيب** (بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٨١)، ج١٢، ص١١٣.
(٢) المرجع نفسه، ج١١، ص٩٣.

يعتقدون أن: خالق المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم هو عيسى عليه السلام ومريم والله تعالى ما خلقها ألبتة، وإذا كان كذلك فالنصارى قد قالوا: إن خالق تلك المعجزات هو عيسى ومريم، والله تعالى ليس خالقها، فصح أنهم أثبتوا في حق بعض الأشياء كون عيسى ومريم إلهين له مع أن الله تعالى ليس إلهًا له؛ فصح بهذا التأويل هذه الحكاية والرواية.[1] وهذا تأويل حسن وجميل إن لم يكن قد قال بما ذكر القرآن أي فرقة من فرق النصارى، **لكن ثبت أن فرقة تقال لها البربرانية** قد قال عين هذا الكلام، أي لا يوجد إله آخر غيرهما، ومن أدرك هذا فإنه يستغنى عن التأويل ولا يضطر لشرح الأمر على نحو ما فعل الإمام، ورغم هذا يصح كلام الإمام في شرح طريقة اعتقاد البربرانية، وذلك لو قلنا: إن القرآن حكى عن البربرانية –وهم فرقة من النصارى– أنهم يؤمنون بألوهية عيسى وأمه، وذلك لأن الإله هو الخالق وهم يرون أن عيسى وأمه هما الخالقان لما ظهر من معجزة وليس الله، وبهذا نجمع بين الكلامين ونعذر الإمام على ما لم يذكر لعدم معرفتنا السبب اليقيني في عدم ذكره.

بقي أن نأتي بأدلة تثبت صحة نسبة هذا الكلام إلى البربرانية فعلًا، فيقول ابن حزم – وهو يتحدث عن فرق النصارى–: "ومنهم البربرانية، وهم يقولون أن عيسى وأمه إلهان من دون الله عز وجل، وهذه الفرقة قد بادت وعمدتهم اليوم ثلاث فرق،[2] فذكر الملكانية، والنسطورية واليعقوبية، ويقول أبو زهرة –وهو يتكلم عن فرق النصارى–: "ومنهم البربرانية كانت تقول إن المسيح وأمه إلهان، ولعل هؤلاء هم الذين ذكرهم الله تعالت كلماته في قوله تعالى مبينًا ما يكون بينه –سبحانه وتعالى– وعيسى –عليه السلام– من قول يوم القيامة، قال تعالت كلماته: ﴿ **قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ** ﴾ [المائدة: ١١٦]. ولعل فريقا منهم كان موجودًا عند نزول القرآن الكريم.[3] وهذا ما أكده الأعظمي، حيث ذكر أن هذه الفرقة قد انقرضت ومع

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٢، ص١١١.

(٢) ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري، **الفصل في الملل والأهواء والنحل** (بيروت: دار الجيل، د.ط، د.ت) ج١، ص٤٧.

(٣) أبو زهرة، محمد، **محاضرات في النصرانية** (القاهرة: دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦) ص١٨١.

ذلك فقد تركت آثارًا سيئة على المسيحية[1].

ولقد ذكر صاحب كتاب **مناظرة بين الإسلام والنصرانية** ما يقرب من هذا، وذكر معلومات وحوادث تاريخية تتحدث عن تأليه مريم.[2]

هنا أدركنا أيضًا أن القرآن أخبر عن عقيدة ألوهية مريم، عقيدة قلما ينبه عليها في كتب النصارى أنفسهم، وجدنا أن القرآن تكلم فيها، وفصل فيها الإمام الرازي، وهذه الحكاية يصح حملها على البربيرانية منهم، كما يصح تعميمها لو فسرنا عقيدة التثليث بأن مريم واحد من الثلاثة، أو روح المقدس.

المبحث الثاني: عقيدة التثليث:

عُرِفت النصارى بأنهم يؤمنون بالتثليث، ولقد سجل الله في القرآن عقيدة التثليث في الآيتين التاليتين:

١. ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ [النساء: ١٧١].

٢. ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٣].

وسيكون كلامنا في توضيح ذلك كالتالي:

أولًا: بيان المقصود بالتثليث في الآية:

يقصد بعقيدة التثليث تلك التي تقول: إن طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية: الله

(١) الأعظمي، محمد ضياء الرحمن. **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند** (الهند، الرياض: مكتبة الرشد، ط٢، ٢٠٠٣.) ص ٤٦٢.

(٢) انظر: أحمد، إبراهيم خليل أحمد، وآخرون، **مناظرة بين الإسلام والنصرانية** (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ)، ص٢٤٩، وفي الكتاب نصوص واقتباسات جيدة من كتاب قصة الحضارة، فليراجع.

الأب، والله الابن، والله الروح القدس، فإلى الأب ينتمي الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير، يرى الفخر الرازي: أن المقصود بالآية هو اعتقاد النصارى بوجود ثلاثة آلهة: الله الأب، والله الابن، والله مريم، أو أن المقصود به هو أن الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم: أب ابن وروح القدس، نسب الرأي الأول إلى بعض المفسرين، والثاني إلى المتكلمين، فقد ذكر أن تفسير قول النصارى ثَالِثُ ثَلَاثَة طريقان: **الأول**: قول بعض المفسرين، وهو أنهم أرادوا بذلك أن الله ومريم وعيسى آلهة ثلاثة، والذي يؤكد ذلك قوله تعالى للمسيح: ﴿**مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ**﴾ [المائدة ١١٦]، فقوله: ﴿**ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ**﴾، أي أحد ثلاثة آلهة أو واحد من ثلاثة آلهة، والدليل على أن المراد ذلك قوله تعالى في الرد عليهم: ﴿**ثَلَٰثَةٌ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ**﴾، وعلى هذا التقدير: ففي الآية إضمار إلا أنه حذف ذكر الآلهة؛ لأن ذلك معلوم من مذاهبهم، **والطريق الثاني**: أن المتكلمين حكوا عن النصارى أنهم يقولون: جوهر واحد ثلاثة أقانيم أب وابن وروح القدس، وهذه الثلاثة إله واحد كما أن الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة، وعنوا بالأب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة، وأثبتوا الذات والكلمة والحياة، وقالوا: إن الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمر واختلاط الماء باللبن، وزعموا أن الأب إله والابن إله والروح إله والكل إله واحد.[1]

ثانيًا: يرى الإمام الرازي وهو يفكر في كلامهم تفكيرًا نقديًّا أن هذا الكلام لا يصح ولا يقبله العقل، فالنصارى وإن أثبتوا ذاتًا واحدًا ووصفوه بصفات ثلاثة؛ إلا أنها في الواقع ومن مدلول كلامهم ذوات وليس صفات، لماذا؟ لأنهم يجوزون عليها الحلول في عيسى وفي مريم بأنفسها، وإلا لما جوزوا عليها أن تحل في الغير، وأن تفارق ذلك الغير مرة أخرى، فهم وإن كانوا يسمونها بالصفات إلا أنهم في الحقيقة يثبتون ذوات متعددة قائمة بأنفسها، فقد بين أن معنى الآية هو: ولا تقولوا: إن الله سبحانه واحد بالجواهر ثلاثةٌ بالأقانيم، وأتبع ذلك بأن مذهب النصارى مجهول جدًّا، والذي يتحصل منه أنهم أثبوا ذاتا موصوفة بصفات ثلاثة، إلا

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٢، ص٥١.

أنهم وإن سموها صفات، فهي في الحقيقة ذوات، بدليل أنهم يجوزون عليها الحلول في عيسى وفي مريم بأنفسها، وإلا لما جوزوا عليها أن تحل في الغير، وأن تفارق ذلك الغير مرة أخرى، فهم وإن كانوا يسمونها بالصفات إلا أنهم في الحقيقة يثبتون ذوات متعددة قائمة بأنفسها، وذلك محض الكفر؛ فلهذا المعنى قال تعالى: ولا تقولوا ثلاثة انتهوا، ويواصل الفخر مبينًا أنه إن حملنا الثلاثة على أنهم يثبتون صفات ثلاثة؛ فهذا لا يمكن إنكاره، وكيف لا؟ نقول ذلك وإنا نقول هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام العالم الحي القادر المريد، ونفهم من كل واحد من هذه الألفاظ غير ما نفهمه من اللفظ الآخر، ولا معنى لتعدد الصفات إلا ذلك، فلو كان القول بتعدد الصفات كفرًا لزم رد جميع القرآن ولزم رد العقل؛ من حيث أنا نعلم بالضرورة أن المفهوم من كونه تعالى عالما غير المفهوم من كونه تعالى قادرًا أو حيًّا.[1] وقد كان قد أكد هذا الكلام من قبل، وهو يعين على توضيح الفكرة؛ فقد ذكر أن هذا التثليث إما أن يكون لاعتقادهم وجود صفات ثلاثة أو لاعتقادهم وجود ذوات ثلاثة، والأول باطل لأن المفهوم من كونه تعالى عالما غير المفهوم من كونه قادرًا ومن كونه حيًّا، وإذا كانت هذه المفهومات الثلاثة لا بد من الاعتراف بها، كان القول بإثبات صفات ثلاثة من ضرورات دين الإسلام؛ فكيف يمكن تكفير النصارى بسبب ذلك؟! ولما بطل ذلك علمنا أنه تعالى إنما كفرهم لأنهم أثبتوا ذواتًا ثلاثة قديمة مستقلة، ولذلك فإنهم جوزوا في أقنوم الكلمة أن يحل في عيسى، وجوزوا في أقنوم الحياة أن يحل في مريم، ولولا أن هذه الأشياء المسماة عندهم بالأقانيم ذوات قائمة بأنفسها لما جوزوا عليها الانتقال من ذات إلى ذات فثبت أنهم قائلون بإثبات ذوات قائمة بالنفس قديمة أزلية.[2] **ويمكن أن نعد هذا إدراكًا جديدًا**، فهو فهم ما عندهم، ولما حلله تحليلًا عقليًّا رأى أن العقل لا يمكن أن يفسر الأمر كما فسروه، فأتى لهم بالتفسير اللازم، بأن قال: جواهر ثلاثة بالحقيقة وليست صفات.

ثالثًا: مدى مصداقية القرآن في الحكاية:

ما قد تم ذكره هو عين عقيدة النصارى في الواقع وبدون اختلاف، فكلهم مجمعون على التثليث وإن اختلفوا في تفسير طريقة التثليث، وأستعين هنا بما ذكره أبو زهرة في هذا الصدد،

(١) المرجع السابق، ج١١، ص٩٣.
(٢) المرجع السابق، ج٦، ص٤٨.

فقد ذكر أنه يبدو بجلاء أن شخصية الابن غير الأب، وكذلك روح القدس، ولكن هل يدخل في الأقنوم الثاني جسده وروحه؟ أجاب بأن ذكر أنه جاء في كتاب "خلاصة تاريخ المسيحية في مصر": (كنيستنا المستقيمة الرأي التي تسلمت إيمانها من كيرلس وديسقوروس، ومعها الكنائس الحبشية والآرامية والسريانية الأرثوذكسية (عرف قديمًا بالكنائس الشرقية، أو المذهب اليعقوبي)[1] تعتقد أن الله ذات واحدة مثلثة الأقانيم: أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم روح القدس، وأن الأقنوم الثاني –أي أقنوم الابن– تجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، مصيرًا هذا الجسد معه واحدًا واحدًا وحدةً ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة، بريئة من الانفصال، وبهذا الانفصال وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين، ومشيئة واحدة)، وتعتقد الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية،[2] بأن للأقنوم الثاني طبيعتين ومشيئتين، **ومن هذا نرى أن الكنائس كلها تعتقد التثليث وهذا موضع الاتفاق**، ولكن موقع الخلاف بينها هو العنصر الإلهي في المسيح، أهو الجسد الذي تكون من روح القدس ومن مريم العذراء الذي باختلاطه بالعنصر الإلهي صار طبيعة واحدة مشيئة واحدة أم أن الأقنوم الثاني له طبيعتان ومشيئتان[3].

وبهذا يتبين أنه من خلال القرآن يمكن فهم عقيدة التثليث في النصارى جملة، وتفصيلًا رأينا ما تم من تبسيط قول الفخر الرازي في عقيدة التثليث، كما قد رأينا أن القرآن كان موضوعيًّا ومنهجيًّا في تلك الحكاية؛ فالتثليث أصل من أصول الديانة النصرانية، يكاد يجمع عليها كل فرقهم، مع خلاف في كيفية شرح التثليث وكيفية الحلول والاتحاد إن كان قد تم.

أما عن موقف القرآن؛ فقد تبن كذلك من خلال السطور ومن خلال الآيات نفسها، فقد سيقت الآيات محل تنكير وبينان القول بكفر من قال وآمن بالتثليث، لنتأمل فيهما أيضًا:

(١) استخدام الاسم الجديد المعاصر (الأرتودكسية) بدلا من الاسم القديم (الكنائس الشرقية أو المذهب اليعقوبي) الذي يعرفه الرازي ويستخدمه، من دواعي الموضوعية، فهذا الاستخدام هكذا أورده الإمام أبو زهرة وهو ينقل عن كتاب خلاصة تاريخ المسيحية في مصر، لكن كباحث فإني ذكرت بالمصطلح القديم، والذي استخدمته في خضم البحث استجابة لطبيعة البحث، فهو استخدام الرازي. للتوسع في التعريف وإدراك الفرق أو العلة الجامعة ينظر: شلبي، **المسيحية**، ص١٩٣ فما بعد.

(٢) الكاثوليكية هو الاسم الجديد المعاصر، بدلا من الملكانية أو الملكية. انظر: المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٣) أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، ص١٢٠.

١. ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ [النساء: ١٧١].

٢. ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٣].

فمن الغلو وعدم قول الحق القول بالتثليث، والحق هو أن الله إله واحد له ملك السموات والأرض، يقول الرازي معقبًا الكلام على عقيدة التثليث: "واعلم أن هذا معلوم البطلان ببديهة العقل؛ فإن الثلاثة لا تكون واحدًا والواحد لا يكون ثلاثة، ولا يرى في الدنيا مقالة أشد فسادًا وأظهر بطلانًا من مقالة النصارى".[1] وبهذا يتبن لنا موقف القرآن من التثليث ومن القائلين به، وأما الرد التفصيلي، فيصلح في ذلك ما تم ذكره من أدلة رد ألوهية مريم.

المبحث الثالث: عقيدة الصلب:

يقصد النصارى بعقيدة الصلب أن عيسى ابن الله قُتل مصلوبًا من قبل اليهود، ويقصد بالفداء السر الكامن وراء الصلب والذي يُفسِّر عملية الصلب بأن الرب أعطى ابنه الوحيد ليُقتل فداء عن خطايا البشر الواقع على أعناقهم نتيجة خطأ آدم بأكل الشجرة.

ذكر القرآن عملية الصلب مما يمكن أن يفهم منه أن النصارى يدينون بعقيدة الصلب، جاء ذكر هذا تصريحًا في آية واحدة وتلويحًا في أخرى، ولم يرد في القرآن الكلام الفداء والخطيئة صراحة، لكن يمكن الحديث عنه تلويحًا، كنتيجة وتفسير لعملية الصلب، وسيتضح كلّ في حينه، وفي مكانه المناسب، الآيتان اللتان تحدثتا عن الصلب، هما:

١. ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٥٢ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٢، ص٥١.

مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٢- ٥٤].

٢. ﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴾ [النساء: ١٥٧].

الآية الأولى تدل على أن اليهود مكروا وحاولوا قتل عيسى عليه السلام، وأن الله أبطل مكرهم فلم ينجحوا في صلبه، والآية الثانية تصرح ردًّا على اليهود الذين يقولون: أنهم قتلوه، وردًّا على النصارى الذين صدقوا اليهود؛ فيبين أنه ما قتل وما صلب، وجملة يفهم أن النصارى يدينون بعقيدة الصلب.

وللإمام الرازي رأي حسن في بيان المراد من الآية الأولى، فقد ذكر وجوها حسنة في بيان كيف مكروا، وكيف مكر الله، فقد ذكر أن مكرهم بعيسى -عليه السلام- فهو أنهم هموا بقتله، وأما مكر الله تعالى بهم ففيه وجوه:

الأول: مكر الله تعالى بهم هو أنه رفع عيسى -عليه السلام- إلى السماء: وذلك أن يهودا ملك اليهود أراد قتل عيسى -عليه السلام- وكان جبريل -عليه السلام- لا يفارقه ساعة وهو معنى قوله: ﴿ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ ﴾ [البقرة: ٨٧]، فلما أرادوا ذلك أمره جبريل -عليه السلام- أن يدخل بيتًا فيه روزنة، فلما دخلوا البيت أخرجه جبريل -عليه السلام- من تلك الروزنة، وكان قد ألقى شبهه على غيره، فأخذ وصلب.

الوجه الثاني: أن الحواريين كانوا اثني عشر، وكانوا مجتمعين في بيت فنافق رجل منهم، ودل اليهود عليه، فألقى الله شبهه عليه، ورفع عيسى فأخذوا ذلك المنافق الذي كان فيهم وقتلوه وصلبوه على ظن أنه عيسى -عليه السلام-، فكان ذلك هو مكر الله بهم.

الوجه الثالث: أن اليهود عُذبوا بعد أن رفع عيسى -عليه السلام- من قِبل ملك الروم، وأنه قتل منهم خلقًا عظيمًا، ومنه ظهر أصل النصرانية في الروم، وكان اسم هذا الملك طباريس، وهو صار نصرانيًّا إلا أنه ما أظهر ذلك ثم إنه جاء بعده ملك آخر، يقال له: مطليس، وغزا بيت المقدس بعد ارتفاع عيسى بنحو من أربعين سنة، فقتل وسبى ولم يترك في مدينة بيت المقدس حجرًا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير إلى الحجاز، فهذا كله

مما جازاهم الله تعالى على تكذيب المسيح وألهم بقتله.[1]

أما الآية الثانية: فلا يخلو من تعليقات حسنة وآراء رائعة للفخر الرازي، فقد بين أن اليهود والنصارى يؤمنون بالصلب، علمًا أن عملية الصلب لم يتم على عيسى، بل ثمة شبهة في الأمر، بين في ذلك اختلاف مذاهب العلماء في هذا الموضع، وذكر وجوهًا: الأول: قال كثير من المتكلمين **إن اليهود** لما قصدوا قتله رفعه الله تعالى إلى السماء، فخاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة من عوامهم، **فأخذوا إنسانًا وقتلوه وصلبوه، ولبسوا على الناس** أنه المسيح، والناس ما كانوا يعرفون المسيح إلاّ بالاسم؛ لأنه كان قليل المخالطة للناس، وبهذا الطريق زال السؤال، لا يقال: إن النصارى ينقلون عن أسلافهم أنهم شاهدوه مقتولًا؛ لأنا نقول: إن تواتر النصارى ينتهي إلى أقوام قليلين لا يبعد اتفاقهم على الكذب، والطريق الثاني: أنه تعالى ألقى **شبهه على إنسان آخر**، ثم ذكر في ذلك وجوهًا؛ الأول: أن اليهود لما علموا أنه حاضر في البيت الفلاني مع أصحابه، أمر يهوذا رأس اليهود رجلًا من أصحابه – يقال له: **طيطايوس– أن يدخل على عيسى –عليه السلام–** ويخرجه ليقتله، فلما دخل عليه أخرج الله –عيسى عليه السلام– من سقف البيت وألقى على ذلك الرجل شبه عيسى؛ فظنوه هو فصلبوه وقتلوه، الثاني: وكلوا بعيسى **رجلًا يحرسه** وصعد عيسى –عليه السلام– في الجبل ورفع إلى السماء وألقى الله شبهه على ذلك الرقيب، فقتلوه، وهو يقول: لست بعيسى، الثالث: أن اليهود لما هموا بأخذه، وكان مع عيسى عشرة من أصحابه، **فقال لهم: من يشتري الجنة** بأن يلقى عليه شبهي، فقال واحد منهم: أنا، فألقى الله شبه عيسى – عليه– فأخرج وقتل، ورفع الله عيسى –عليه السلام–، الرابع: كان رجل يدعي أنه **من أصحاب عيسى –عليه السلام– وكان منافقًا**، فذهب إلى اليهود ودلهم عليه، فلما دخل مع اليهود، لأخذه ألقى الله تعالى شبهه عليه فقتل وصلب، وهذه الوجوه متعارضة متدافعة، والله أعلم بحقائق الأمور.[2]

علاوة عن ذلك نجده يطيل التفصيل في ذكر روايات قصة الشبه، وفي احتمال وقوع

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٨، صف٥٨-٥٩.

(٢) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١١، ص٨٠- ٨١.

شبهات وسوء فهم عن قضية الشبه، يعني لو آمنا وسلمنا بأن المقتول إنسان آخر ألقي شبه عيسى عليه، ألا يكون ذلك سفسطة؟ أو لم يستطع جبريل إنقاذه بدون إلقاء الشبه؟ فما الفائدة من إلقاء الشبه مع أن الله كان قادرًا على إنقاذه دون ذلك؟ أو لا ينخدع الناس بهذا، فهم لا يعرفون أن المقتول والمصلوب ليس عيسى الحقيقي؟ ألا يكون إنكار المسلمين لعقيدة الصلب نقدا في خبر متواتر؟ فإن النصارى مع محبتهم له فهم يروون أنهم رأوه مقتولًا ومصلوبًا! ثم إنه ثبت أن المصلوب بقي فترة بعد الصلب قبل أن يموت، فلم لم يخبر الحقيقة؟ قل لي بالله عليك عن مدى أهمية هذه التساؤلات؟ فهي تدل على عقلية الرازي في تفحيص الأمور، إليك البيان الذي ذكره الرازي في هذه الإشكالات، فقد ذكر أن نص القرآن دل على أنه تعالى حين رفعه ألقى شبهه على غيره على ما قال: ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ**﴾ [النساء: ١٥٧]، والأخبار أيضًا واردة بذلك، إلا أن الروايات اختلفت: فتارة يروى أن الله تعالى ألقى شبهه على بعض الأعداء الذين دلوا اليهود على مكانه حتى قتلوه وصلبوه، وتارة يروى أنه –عليه السلام– رغب بعض خواص أصحابه في أن يلقي شبهه حتى يقتل مكانه، وبالجملة فكيفما كان ففي إلقاء شبهه على الغير إشكالات، **الإشكال الأول**: إنا لو جوزنا إلقاء شبه إنسان على إنسان آخر **لزم السفسطة**، فإني إذا رأيت ولدي ثم رأيته ثانيًا، فحينئذ أجوز أن يكون هذا الذي رأيته ثانيًا ليس بولدي بل هو إنسان ألقي شبهه عليه، وحينئذ يرتفع الأمان على المحسوسات، **والإشكال الثاني**: وهو أن الله تعالى كان قد أمر **جبريل –عليه السلام– بأن يكون معه في أكثر الأحوال** هكذا، قاله المفسرون في تفسير قوله: ﴿**إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ**﴾ [المائدة: ١١٠]، ثم إن طرف جناح واحد من أجنحة جبريل –عليه السلام– كان يكفي العالم من البشر؛ فكيف لم يكف في منع أولئك اليهود عنه؟! وأيضًا أنه –عليه السلام– لما كان قادرًا على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص؛ فكيف لم يقدر على إماتة أولئك اليهود الذين قصدوه بالسوء وعلى إسقامهم وإلقاء الزمانة والفلج عليهم حتى يصيروا عاجزين عن التعرض له؟! **والإشكال الثالث**: إنه **تعالى كان قادرًا** على تخليصه من أولئك الأعداء بأن يرفعه إلى السماء، فما الفائدة في إلقاء شبهه على غيره؟ وهل فيه إلا إلقاء مسكين في القتل من غير فائدة إليه، **والإشكال الرابع**: أنه إذا ألقي شبهه على غيره ثم إنه رفع بعد ذلك إلى السماء، فالقوم اعتقدوا فيه أنه هو عيسى مع أنه ما

كان عيسى، فهذا كان **إلقاء لهم في الجهل والتلبيس**، وهذا لا يليق بحكمة الله تعالى، **والإشكال الخامس**: أن النصارى على كثرتهم في مشارق الأرض ومغاربها وشدة محبتهم للمسيح -عليه السلام- وغلوهم في أمره أخبروا أنهم شاهدوه مقتولًا مصلوبًا، فلو أنكرنا ذلك كان **طعنًا فيما ثبت بالتواتر** والطعن في التواتر يوجب الطعن في نبوّة محمد (صلى الله عليه وسلم) ونبوّة عيسى، بل في وجودهما ووجود سائر الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، وكل ذلك باطل. **والإشكال السادس**: أنه ثبت بالتواتر أن المصلوب بقي حيًا زمانًا طويلًا، فلو لم يكن ذلك عيسى بل كان غيره لأظهر الجزع، **ولقال: إني لست بعيسى**، بل إنما أنا غيره ولبالغ في تعريف هذا المعنى، ولو ذكر ذلك لاشتهر عند الخلق هذا المعنى، فلما لم يوجد شيء من هذا علمنا أن ليس الأمر على ما ذكرتم فهذا جملة ما في الموضع من السؤالات. ومن ثم أعقب بذكر الجواب، فأما الجواب **عن الأول**: أن كل من أثبت القادر المختار سلم **أنه تعالى قادر** على أن يخلق إنسانًا آخر على صورة زيد مثلًا، ثم إن هذا التصوير لا يوجب الشك المذكور، فكذا القول فيما ذكرتم. **والجواب عن الثاني**: أن جبريل -عليه السلام- لو دفع الأعداء عنه أو أقدر الله تعالى عيسى -عليه السلام- على دفع الأعداء عن نفسه لبلغت معجزته إلى **حد الإلجاء**، وذلك غير جائز، وهذا هو **الجواب عن الإشكال الثالث**؛ فإنه تعالى لو رفعه إلى السماء وما ألقي شبهه على الغير لبلغت تلك المعجزة إلى حد الإلجاء. **والجواب عن الرابع**: **أن تلامذة عيسى كانوا حاضرين**، وكانوا عالمين بكيفية الواقعة وهم كانوا يزيلون ذلك التلبيس. **والجواب عن الخامس**: أن **الحاضرين** في ذلك الوقت **كانوا قليلين** ودخول الشبهة على الجمع القليل جائز والتواتر إذا انتهى في آخر الأمر إلى الجمع القليل لم يكن مفيدًا للعلم. **والجواب عن السادس**: إن بتقدير أن يكون الذي ألقي شبه عيسى عليه السلام عليه كان مسلمًا وقبل ذلك عن عيسى جائز أن يسكت عن تعريف حقيقة الحال في تلك الواقعة وبالجملة فالأسئلة التي ذكروها أمور تتطرق الاحتمالات إليها من بعض الوجوه ولما ثبت بالمعجز القاطع صدق محمد (صلى الله عليه وسلم) في كل ما أخبر عنه امتنع صيرورة هذه الأسئلة المحتملة معارضة للنص القاطع، والله ولي الهداية.[1]

(١) الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٨، ص٦٢-٦٣.

أخيرًا: ما موقف الفرق النصرانية ونظرتها وتفسيرها للصلب: بين الفخر الرازي في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ ﴾ [النساء: ١٥٧]؛ قولين: الأول أنهم هم النصارى، وذلك لأنهم بأسرهم متفقون على أن اليهود قتلوه، إلا أن كبار فرق النصارى ثلاثة النسطورية والملكانية واليعقوبية: أما **النسطورية**؛ فقد زعموا أن المسيح صلب من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته، وأكثر الحكماء يرون ما يقرب من هذا القول، قالوا: لأنه ثبت أن الإنسان ليس عبارة عن هذا الهيكل، بل هو إما جسم شريف منساب في هذا البدن، وإما جوهر روحاني مجرد في ذاته، وهو مدبر في هذا البدن، فالقتل إنما ورد على هذا الهيكل، وأما النفس التي هي في الحقيقة عيسى –عليه السلام– فالقتل ما ورد عليه لا يقال، فكل إنسان كذلك؛ فما الوجه لهذا التخصيص؟ لأنا نقول: إن نفسه كانت قدسية علوية سماوية شديدة الاشراق بالأنوار الإلهية عظيمة القرب من أرواح الملائكة، والنفس متى كانت كذلك لم يعظم تألمها بسبب القتل وتخريب البدن، ثم إنها بعد الانفصال عن ظلمة البدن تتخلص إلى فسحة السموات وأنوار عالم الجلال، فيعظم بهجتها وسعادتها هناك، ومعلوم أن هذه الأحوال غير حاصلة لكل الناس، بل هي غير حاصلة من مبدأ خلقة آدم –عليه السلام– إلى قيام القيامة إلا لأشخاص قليلين، فهذا هو الفائدة في تخصيص عيسى عليه السلام بهذه الحالة. وأما **الملكانية** فقالوا: القتل والصلب وصلا إلى اللاهوت بالإحساس والشعور لا بالمباشرة. وقالت **اليعقوبية** القتل واللصلب وقعا بالمسيح الذي هو جوهر متولد من جوهرين، فهذا هو شرح مذاهب النصارى في هذا الباب، وهو المراد من قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ ﴾ القول الثاني: أن المراد بالذين اختلفوا هم اليهود،[1] فهذا هو موقف الفرق النصرانية من تفسير الصلب بعد إيمانهم جميعًا به.

هذا فيما يتعلق عن موضوع الصلب، فقد ذكر القرآن ما يدل على أنها من عقيدة النصارى، وقد كان لنا وقفات في آراء الرازي في إيضاح ما جاء في الخطاب القرآني، إضافة لطول باعه وتبحره في علم الكلام والمنطق والفلسفة طرح إشكالات قد يطرأ ليجيب عنها، أضف إلى هذا أنه قام بتفسير وبيان رأي كل فرقة من فرقهم.

(١) المرجع نفسه، ج١١، ص٨١.

المبحث الرابع: عقيدة الفداء والخطيئة:

أما ما يتعلق بعقيدة الفداء والخطيئة؛ فلم يوله القرآن الكريم اهتمامًا، لماذا يا ترى؟ لأنه إذا عرفنا موقف القرآن من عقيدة الصلب سندرك لماذا لم يتحدث القرآن عن الفداء والخطيئة! وموقف القرآن من عقيدة الصلب هو الرفض بدليل التاريخ، وبناء على ذلك كما قد رأينا يقول القرآن ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾، وأن مكرهم في محاولة القتل باء بالفشل بأن قابل الله مكرهم بمكر مثله وهو أن نجّى عيسى -عليه السلام- من مكرهم، فلم يتمكنوا من قتله.

بقي القول بأن النصارى يفسرون عملية الصلب بأن الله أعطى ابنه الوحيد للقتل حتى تغتفر خطايا البشر نتيجة أكل آدم -عليه السلام- من الشجرة، فلما بطل الصلب بطلت عقيدة الفداء أو الخطيئة، لأن الثاني من لوازم الأول، لذلك لم يتكلم عنه القرآن صراحة، وهذا يعني أنه تكلم عنها تلويحًا، فهو تحصيل حاصل. يذكر أحمد علي عجيبة في ذلك: أنه يترتب على نفي الصلب نفي الغاية التي ألصقها النصارى بدعواهم بصلب المسيح فداء للبشرية، فالمسيح لم يصلب ولم يفد أحد، فالكل مسؤل عن عمله إن خيرًا، فخير وإن شرًّا فشر، وإبطال الصلب يبطل قيامة المسيح... فآدم تاب من ذنبه والله -سبحانه وتعالى- تاب عليه، والإسلام يجلي هذا فيبين أن آدم مسئول عن ذنبه وحده، وأن كل إنسان مسئول عن عمله يحاسب عليه وحده لا غير، فكل إنسان على نفسه بصيرة، وكل إنسان لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ولا تزر وازرة وزر أخرى.[1]

(١) عجيبة، أحمد علي، **الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه** (القاهرة: دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦). ص٤٥.

الخاتمة ونتائج البحث وتوصياته

الحمد لله أولًا وآخرًا، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛ فالاهتمام بعلم الدراسات القرآنية مهمة في حقول الدراسات الإسلامية، وإن الاهتمام بعلم مقارنة الأديان من المنظور القرآني لمن أفضل الوسائل التي تفيد في الجمع بين التراث وإثراء البحث العلمي المعاصر.

يعد القرآن الكريم مصدرًا في تاريخ الأديان، وإن حمل أحكامًا على المخالف، وما ذاك إلا أنه كتاب هداية وإرشاد، يراعى هذا في جانبه، ويمكن الاستفادة منه في هذا الجانب وفي جوانب أخرى من حيث المصداقية والموضوعية وقبول الآخر.

تبين في هذا البحث المادة العلمية التي ساهمت بها القرآن في سبيل بيان العقيدة النصرانية: كل هذا في بيان التطور التاريخي الذي أخرجت البشارة العيسوية من طور التوحيد إلى الديانة القائمة.

وإن من أهم نتائج البحث ما يأتي:

١- اعتقدت طائفة من النصارى بألوهية مريم، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الطائفة بالذات، رغم أنها انقرضت وتلاشت نتيجة المجامع الكنسية وتبني التثليث. على أن من لا علم له بهذه الحقيقة يفسر الأمر من منظور التثليث، والأمران مختلفان.

٢- عقيدة التثليث من أهم دعائم الديانة النصرانية، وقد بين القرآن الكريم ذلك، وبين موقفه منه، كما كان للإمام الرازي دور في تفصيل ما أجمله القرآن الكريم.

٣- تعتبر عقيدة الصلب من جوهر الديانة النصرانية نتيجة المحاولات المختلفة في تفسير موت المسيح رغم أنه ولد الله كما يرون.

٤- ترتب على موقف القرآن من عقيدة الصلب وضوح موقفه من الفداء والخطيئة.

كل هذا يدل على أن القرآن الكريم عني بدين الآخر، وببيانه بكل موضوعية، ناهيك أن أغلب هذه المصطلحات مصطلحات مدحح وفخر؛ إذ نسبوا إلى العلم والكتاب.

ومن أهم توصيات البحث ما يلي:

متابعة الأنشطة العلمية المختلفة المتعلقة بدراسة أثر الخطاب القرآني في تكوين نظرة المسلمين إلى الديانة النصرانية.

الاهتمام بجهود علماء المسلمين الآخر ين في دراسة الأمر.

الاهتمام بجهود الفخر الرازي وتطبيق هذه الدراسة على الديانات الأخرى الواردة في القرآن الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

١. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الظاهري، **الفصل في الملل والأهواء والنحل** (بيروت: دار الجيل، د.ط، د.ت)

٢. ابن عاشور، محمد الطاهر، (١٩٩٧)، **التحرير والتنوير**، تونس: دار سحنون.

٣. أبو زهرة، محمد، (١٩٦٦)، **محاضرات في النصرانية** (الطبعة الثالثة)، القاهرة: دار الفكر العربي.

٤. الأعظمي، محمد ضياء الرحمن، (٢٠٠٣)، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند** (الطبعة الثانية).

٥. البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، (٢٠٠١)، **تفسير البيضاوي**، بيروت: دار الكتب العلمية.

٦. توري، سيكو مارافا، **النصرانية في الخطاب القرآني**، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم أصول الدين ومقارنة الأديان بكلية معارف الوحي والتراث بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ٢٠٠٧.

٧. توري، سيكو مارافا، **النصرانية في الخطاب القرآني**، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم أصول الدين ومقارنة الأديان بكلية معارف الوحي والتراث بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، (٢٠٠٧).

٨. توري، سيكو مارافا، **عقيدة أهل الكتاب "النصارى" في ألوهية عيسى في الخطاب القرآني**، مجلة بحوث إسلامية واجتماعية متقدمة، العدد الأول، أكتوبر (٢٠١١).

٩. توري، والعرفي، **صفات النصارى في الخطاب القرآني: دراسة موضوعية تحليلية**، مجلة جامعة المدينة العالمية بماليزيا (مجمع)، العدد ٩، (٢٠١٤).

١٠. حمد، حسي علي، **قاموس المذاهب والأديان** (بيروت: دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٩٩٨).

١١. الخلف، سعود بن عبد العزيز، **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية** (الرياض: مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٩٩٧).

١٢. الرازي، محمد فخر الدين. (١٩٨١). **مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير**، بيروت: دار الفكر.

١٣. الرازي، محمد فخر الدين. (١٩٨٦). **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، (الطبعة الأولى)، ضبط وتقديم وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت: دار الكتاب العربي.

١٤. الرازي، محمد فخر الدين، (١٩٨٦)، **مناظرة في الرد على النصارى**، تحقيق: عبد المجيد النجار، بيروت: دار العرب الإسلامي.

١٥. رحمة، وتوري، **منهج الخطاب القرآني في الحديث عن النصرانية وآثاره**، مجلة إسلامية المعرفة، العدد الخاص ٤ ديسمبر (٢٠١١).

١٦. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، (١٩٩٨)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، الرياض: مكتبة العبيكان.

١٧. الشرقاوي، محمد عبد الله، (٢٠٠٢)، **بحوث في مقارنة الأديان**، القاهرة: دار الفكر العربي.

١٨. الشعراوي، محمد متولي، (١٩٩١)، **تفسير الشعراوي**، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية.

١٩. شلبي، أحمد، (١٩٩٠)، **المسيحية** (الطبعة التاسعة)، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

٢٠. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (٢٠٠٠)، **جامع البيان والحكم**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢١. عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** (القاهرة: دار الكتب المصرية، د.ط، ١٣٦٤هـ).

٢٢. العودات: حسين، (١٩٩٩)، **العرب النصارى** (الطبعة الأولى)، دمشق: الأهالي للطباعة والنشر.

٢٣. فتاح، عرفان عبد الحميد، **النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها** (كوالالمبور: دار التجديد، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥).

٢٤. المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (د.ت)، **تفسير الجلالين**، القاهرة: دار الحديث.

٢٥. محمود، جمال سعد، **النصرانية بين نبأ القرآن وخبر العهد الجديد تاريخًا وعقيدة** (القاهرة: دار الطباعة المحمدية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧).

المصادر الإنكليزية:

1. Maccpby، Hyam (1986). The mythmaker: Paul and the Invention of Christianity. New York: Harper & Row.

2. McGrath, Alister E. (1997). An Introduction to Christianity, Cambridge, Blackwell.

3. Parrinder، Geoffrey. (1965). Jesus in the Qur'an. London: Western Printing Services Limited Bristol، first published.

4. Robinson، Neal. (1991). Christ in Islam and Christianity. New York: State University of New York.
5. Zwemer، Samuel. (1912). The Moslem Christ. London: Morrison and Gibb LTD.